للحزب النازي فرعا قويا يمارس، بحرية ، النشاط السياسي في سويسرا تحت زعامة عميل الماني اسمه « جوستلوف » . فيتسلط عليه الاكتئاب واليأس . ويفكر في الانتحار فيشتري مسدسا . ولكنه يستعمله في أمر آخر . يستعمله في اغتيال الزعيم النازي ، ويسلم نفسه الى الشرطة . وأمام القضاء يطالب ممثل الاتهام بالحكم عليه بأقصى العقوبة المقررة لجريمة القتل ، وهي ثمانية عشر عاما . ويطالب الدفاع بالحكم بالبراءة على اساس ان من حق المتهم ، بل من الحق عليه ، ان يثأر لما حدث للشعب اليهودي على أيدي هتلر وجلاديه. وتنتهي المرافعات وتحجز القضية للحكم ، الذي يصدر بأقصى العقوبة دون ادنى تخفيف . الا ان المتهم لا ينفذ العقوبة بالكامل . فألمانيا الهتلرية تندحر ، وفور اندحارها يخرج من السجن ليقول للصحفيين انه ذاهب الى ارض الميعاد في فلسطين. وفي نهاية الفيلم ينتقل بنا المخرج السويسري الى تل ابيب ، لنرى دافيد الحقيقي (أول من قتل نازيا) في مشهد تسجيلي مضاف ، وهو يأكل ويتسامر مع أسرته . ثم وهو يقول ان المآسي التي حدثت له ولشعبه من الممكن ان تحدث في أي مكان آخر من العالم . وغني عن البيان انه يغفل القول بأن ما حدث لليهود في المانيا الهتلرية مسا زال يحدث لشعب آخر اسمه الشعب الفلسطيني ، على ارض اخرى اسمها فلسطين !

اما الفيلم الثالث « ليني » فهو ، عندي ، أخطر الافلام الصهيونية التي عرضت في المهرجان ، لان مخرجه هو « بوب فوس » ، صاحب فيلم « كاباريه » ، الحاصل على عدة جوائز اوسكار ، ولان ممثله هو داستن هوفمان ، النجم المتألق في سماء السينما العالمية ، ولان الشركة الموزعة له هي « شركة الفنانين المتحدين » ، ذات الخبرة الكبيرة في توزيع الافلام . وبطل الفيلم « ليني بروس » يهودي كوميدي ساخر ، عمل في ملاهي الليل بأمريكا أيام الماكارثية السوداء . ومات في سن الاربعين مضطهدا مخدرا . ومأساته يحكيها الفيلم من خلال ذكريات امه وزوجته ومدير أعماله . وهي ذكريات تنتهي بنا الى الايمان بليني مسيحا جديدا ، مسيحا يهوديا يجيء الى العالم الذي يعاقب اليهود بأشغال شاقة مؤبدة منذ ألفي عام ، لان واحدا من اجدادهم اتهم بقتل المسيح . يجيء اليه برسالة محاربة النفاق والتبشير بالحب وتحرير الانسان من رق الخوف والخرافات . وهو في الفيلم يقول عن نفسه « أنا لست كوميديا ... ولست مريضا ، العالم هو المريض ... وانا الطبيب ، الجراح الذي يملك مبضعا تجتث به القيم الزائفة » .

واذا ما انتقلنا الى الفيلم الصهيوني الآخر « تلميذة دافيد كرافيتز » ، لصاحبه المخرج تد كوتشيف — وهو فيلم كندي حصل على جائزة الدب الذهبي لمهرجان برلين السينمائي العام ١٩٧٤ وتدور احداثه في كندا عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية — فسنجد ان قصته البسيطة كل البساطة بطلها شاب يهودي غريب معلق لا يدري من اين جاء وان كان يدري الى اين يمضي : ان له عملا ينبغي ان يؤديه هو ان يمتلك قطعة ارض . فنصيحة جده له ، منذ ان كان صغيرا ، هي ان يكون لحياته غاية : ان يحصل على قطعة أرض ، لان الانسان بلا ارض بلا قيمة . وتختلف عليه احداث تنتهي به الى شراء قطعة ارض كبيرة ، هي اقرب الى جنة تجري من تحتها الانهار . وهو في سبيل الاحتفاظ بها يجنح الى استعمال وسائل ملتوية ، هي الى الاحتيال والجريمة اقرب . ثم ينتهي به الفيلم بعد كثير من الخطوب الى الانتصار . لقد استطاع ان يحتفظ بالارض وان يصون حياته من الخواء والجدب . وواضح من السياق المتقدم ان قصة « دافيد كرافيتز » زاخرة برموز ، قصد بها تأكيد ضرورة « عودة » يهود الشتات الى الارض « ارض الميعاد » وتبرير الوسائل الاجرامية التي تستعملها الصهيونية في سبيل الاحتفاظ بما اغتصب من ارض العرب في فلسطين وغيرها .

مصطفى درويش